فجُعِلَ في المهد، فشَقَّ عليه، فحُمِلَ على أعناق الرجال في مِحَفَّةٍ[١]، فمات ليلة الخميس منتصف جمادى، وانتهب الغلمانُ الخزائنَ والسلاحَ والكُراعَ ما قيمتُه ألفُ ألفِ دينار، وأحرقت الجواري الخِيَم والخَرْكاوات، فما تركْنَ خيمةً ولا خركاة إلا أحرقنها سوى الخَرْكاة التي كان فيها والخيمة، وكان قريباً من قرية[٢] له فيها ألف ألف دينار، فصعد الغلمان وأخذوا ما فيها، وحُمِلَ في تابوت فدُفِنَ بالأهواز، وقيل: حُمِلَ إلى شيراز، فدُفِنَ عند آبائه.

وكانت مدةُ عمره إحدى وأربعين سنة، وقيل: أربعين، ومدة ولايته على العراق أربع سنين وشهرين وأياماً، ومدة ولايته على فارس والأهواز خمساً وعشرين سنة، وكان شجاعاً فاتكاً، مشغولاً بالشرب واللهو، ولمَّا مات كان ولدُه أبو نصر ببغداد نازلاً في دار المملكة نيابةً عن أبيه، و[كان] العسكر حوله، فوقع المُوتان في الخيل والدواب [فمات منهم اثنا عشر]، وكانت أختُ أبي نصر [مع الخليفة، وهي التي تُوفِّيت أول هذه السنة، فلقَّبَ الخليفةُ ولده أبا نصر] الملك الرَّحيم، وخلَعَ عليه خِلَعَ السلطنة، واستدعاه في صحن السلم، وكان الخَلْعُ سبعَ جِباب كاملة، والتاج والطوق والسِّوارين واللِّواءين كما فُعِلَ بعضد الدولة، وقُرِئ عهدُه بين يدي الخليفة، وخرج [من دار الخليفة] ومراكب الذهب بين يديه، والعساكر والقُضاة والأشراف والخَدَم بين يديه إلى الشطِّ، فنزل في زَبْزَبه، وعاد إلى دار المملكة، وجلس في اليوم الثاني وهنَّأه الناس [وكان يوماً مشهوداً][٣].

السنة الحادية والأربعون وأربع مئة

فيها جرى ببغداد بين السُّنَّة والشيعة فتنةٌ عظيمةٌ حاصِلُها أنَّ أهل الكَرْخ بنَوا عليه سوراً من أنقاض دكاكين الناس، فعمل أهلُ نهر القَلَّائين مثلَ ذلك، واجتمع الدَّيلمُ إلى الكَرْخ والغِلمانُ إلى نهر القَلَّائين، وجرى بين الفريقين شيءٌ لم يجرِ قبلَه، وامتنع على

(١) المِحَفَّة: هودج لا قبَّة له، تركب فيه المرأة. المعجم الوسيط (حفف).

(٢) في (ف) وحدها: قلعة.

(٣) الترجمة مختصرة جداً في المنتظم ١٥/٣١٧.

السلطان إصلاحُ الفريقين، وأُلقيت النيرانُ في المحال، وزاد الأمرُ والنَّهبُ، فقال القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي: أهل الكَرْخ طائفة نشأت على سبِّ الصحابة، وليس للخلافة عليها أمرٌ، ولقد أذكر وأنا أحمل رقاع القادر وهي بخطِّ ابن حاجب النعمان إلى الشريف الرضي فلا يقرؤها، ويقول: إن كانت لكَ حاجةٌ قضيتُها. وبلغ الخليفةَ، فعزَّ عليه، وتقدَّم إلى قاضي القضاة أن لا يسمع شهادةَ التنوخي، ثم رضي عنه، فتعجَّب الناسُ من الإنكار عليه في أمر ظاهر.

وفيها هبَّتْ رِيحٌ سوداءُ ببغداد، فأظلمت الدنيا، وقُلِعَتْ رواشنُ دار الخلافة[1] ودارُ المملكة ودورُ الناس، وقلعَتْ من الشجر والنخل شيئاً كثيراً، [فلو دامت ساعةً لمات الناس، ودَرست آثار بغداد].

وفيها نزل طُغْرُلْبَك الريَّ، ولم يتيقَّنْ وفاةَ أبي كاليجار، فأقام يفحص عن ذلك.

وفيها لمَّا بَعُدَ طُغْرُلْبَك عن نيسابور دخل مودود بن مسعود الهندَ وغزا، ووصل إلى الأماكن التي وصل إليها جدُّه، وكتب إليها جدُّه، وكتب إلى الخليفة بذلك.

ولم يحجَّ أحدٌ من خراسان ولا العراق.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن حمزة

ابن محمد [بن حمزة] بن خزيمة، أبو إسماعيل، الهروي، الصوفي، ويُعرف بعمُّويه، وُلِدَ سنة سبع وأربعين وثلاث مئة، وكان شيخ الصوفية بهَراة، سمع الكثير بالعراق والشام، وتوفي بهَراة في رجب، وأنشد بطرابلس المرشديُّ إسماعيل بن أحمد: [من الطويل]

يُعيِّرني قومي على المَلْبسِ الدُّونِ ... وما أنا فيما قد لبستُ بمغبونِ
إذا كنتُ مولًى للقناعةِ مالكاً ... فإنَّ ملوكَ الأرضِ كُلَّهم دوني

(١) في (م) و(م١): الخليفة، والمثبت موافق لما في المنتظم ١٥/ ٣٢١.

[وفيها تُوفِّي]

إسماعيل بن أحمد بن محمد[١]

أبو البركات [بن أبي سعد] الصوفي، المعروف بشيخ الشيوخ، [كان أبوه من أهل نيسابور، واستوطن بغداد، ووُلِدَ له أبو البركات ببغداد]، وسافر إلى الشام. [قال الحافظ ابن عساكر] : ونزل بخانكاه السُّمَيساطي بدمشق، وحدَّثَ بها وعاد إلى بغداد، فمات في جمادى الأولى، ودُفِن بالشُّونيزية، [سمع أبا الفوارس وأبا نصر الرئيس ومالكاً البانياسي وغيرهم، وكتب عنه الخطيب وغيره]، وكان صالحاً ثقة.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن علي بن عبد الله[٢]

أبو عبد الله، الصُّوري، الحافظ ولد بصور سنة ست وسبعين وثلاث مئة، وقدم بغداد سنة ثماني عشرة وأربع مئة، وسمع الحديث على كِبَر السِّن، وعُني به حتى صار فيه إماماً .

[قال الخطيب: لم يقدم علينا من الغرباء أفهمَ منه بعلم الحديث]، وكان صحيحَ النقل، دقيقَ الخطِّ، يكتب في الوجهة من الكاغَد الخراساني ثمانين سطراً، ويكتب المجلَّدة في جزء، وكان صائماً قائماً لا يفطر إلا في العيدين وأيام التشريق، وكان من أحرص الناس على طلب الحديث وأورعهم في تحصيله، وربما كرَّر الحديث على شيخه مرات، ومضى إلى الكوفة فسمع بها من أكثر من أربع مئة شيخ، وكان يُظهر هناك السُّنَّة ويترحَّم على الصحابة، فثار عليه أهل الكوفة ليقتلوه، فالتجأ إلى أبي طالب بن عمر العلوي فأجاره، وقال له: اقرأ عليَّ فضائل الصحابة. فقرأ عليه، فتاب من سبِّهم، [وقال أبو طالب: قد عشتُ أربعين سنة في سبِّهم][٣] تُرى أعيشُ مثلَها حتى أذكرهم بخير.

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣٦١ـ٣٦٢ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٣ ، و تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٧١ ، و المنتظم ١٥/ ٣٢٢ـ٣٢٤ ، و الأنساب ٨/ ١٠٦ . وينظر السير ١٧/ ٦٢٧ .

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) وحدها، وهو في المصادر.

[وقال جدي في «المنتظم»: حدثنا جماعة من أشياخنا عن أبي الحسن الطيوري قال]: أكثر كتب الخطيب سوى «تاريخ بغداد» [هي] مستفادة من كتب الصوري، ابتدأ بها، وكان قد قسم أوقاته في نيِّفٍ وثلاثين فناً، وكانت له أخت بصور خلف عندها اثني عشر عدلاً من الكتب، فأعطاها الخطيبُ شيئاً وأخذ بعض الكتب، وكان الصوري حسن المحاضرة، وذهبت إحدى عينيه.

ومن شعره: [من المتقارب]

تولَّى الشبابُ بريعانِهِ ... وجاء المشيبُ بأحزانِهِ
فقلبي لفقدان ذا مؤلمٌ ... كئيبٌ بهذا ووُجدانِهِ
وإنْ كان ما جار في سيرِهِ ... ولا جاء في غير إبَّانِهِ
ولكِنْ أتى مُؤْذِناً بالرحيل ... فويليَ من قُرْبِ إيذانِهِ
ولولا ذنوبٌ تحمَّلْتُها ... لَمَا راعني حالَ إتْيانِهِ
ولكِنَّ ظهري ثقيلٌ بما ... جناهُ شبابي بطُغيانِهِ
فمَنْ كان يبكي زماناً مضى ... ويندب طَيِّبَ أزمانِه
وليس بكائي وما قد تَرَوْ ... نَ مني لوَحشةِ فُقدانِهِ
ولكِنْ لِما كان قد جَرَّهُ ... عليَّ بوثباتِ شيطانِهِ
فولَّى وبقَّى عليَّ الهموم ... بما قد تحمَّلْتُ من شانِهِ
فوَيْلي وعَوْليَ إنْ لمْ يَجُدْ ... عليَّ مَليكي برضوانِهِ
ولم يتغمَّدْ ذنوبي وما ... جنيتُ بواسعِ غفرانِهِ
ويجعَلْ مصيري إلى جنةٍ ... يَحُلُّ بها أهلُ قُربانِهِ
وإنْ كنتُ ما ليَ من قُربةٍ ... سوى حُسنِ ظنِّي بإحسانِهِ
فإنِّي مُقِرٌّ بتوحيدِهِ ... عليمٌ بعزَّةِ سُلطانِهِ

وقال الخطيب[1]: أنشدنا الصوري: [من الخفيف]

قُلْ لمنْ عاندَ الحديثَ وأضحى ... عائباً أهلَه ومَنْ يَدَّعيهِ

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٧٧ـ٧٨.

أبِعِلْمٍ تقولُ هذا أبِنْ لي أم بجهلٍ فالجهلُ خُلْقُ السَّفيهِ
أتعيبُ الذين هم حفظوا الدِّين من التُّرَّهاتِ والتَّمويهِ
وإلى قولهم وما قَد روَوْهُ راجعٌ كلُّ عالمٍ وفقيهِ

قال[1]: وأنشدني لنفسه: [من المجتث]

نِعْمَ الأنيسُ كتابُ إنْ خانَكَ الأصحابُ
تنالُ منه فنوناً تحظى بها وتُثابُ
لا مُظهرٌ لكَ سرًّا ولا عليه حجابُ
ولا يصُدَّكَ عنُه إن جِئْتَهُ بَوَّابُ
ولا يسوؤُكَ منهُ تغَضُّبٌ أو عِتابُ
ولا يَعيبُكَ[2] يوماً إنْ كان شيءٌ يُعابُ
خلافُ قومٍ تراهم ليست لهم ألبابُ
لكنَّهمْ كذئابٍ طِلْسٍ[3] عليها ثيابُ
إذا تقرَّبْتَ منهم أرضاكَ منهم خطابُ
وإن تباعدْتَ عنهم فكلُّهم مُغتابُ
فالبُعدُ عنهم ثوابٌ والقُربُ منهم عِقابُ

ذكر وفاته:

قال الخطيب: وسبَبُ موته أنه افتصد فتورَّمت يده، وكان الطبيب قد أُعطيَ مِبْضَعاً مسموماً ليفصِد به غيرَه، فغلط ففصد به، فمات في المارستان العَضُدي في تاسع عشرين جمادى الأولى، وصلَّيتُ عليه، ودُفِنَ بمقبرة جامع المنصور، سمع خلقاً كثيراً [منهم أبو الحسن بن جُميع، سمع منه بصيدا]، وروى عنه خلقٌ كثير [الخطيب وقاضي

(١) تقييد العلم ص ١٣٢.
(٢) البيت في التقييد:
ولا يعيبُكَ إن كا نَ فيك شيءٌ يُعابُ
(٣) الطِّلْس من الذئاب: هي ما كان في لونها طُلسة، يعني غُبرة مائلة إلى السواد. المعجم الوسيط (طلس).

القضاة أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني وغيره]، وأجمعوا على حفظه وفضله وصدقه وثقته ودينه.

السنة الثانية والأربعون وأربع مئة

فيها من العجائب أنه اصطلح السُّنَّة والشِّيعة، وصارت كلمتُهم واحدة، وسببه أن السلطان وَلَّى شُرط بغداد من الجانبين أبا محمد بن النَّسَوي الذي ذكرنا أنه كان يقتل الناس في داره، وكان فاتكاً، [فلمَّا ولَّاه السلطان] اجتمع أهلُ باب البصرة والكَرْخ وتلك المحالُّ التي كان يجري بينهم القتال على أنه متى عبر إليهم ابن النَّسوي قتلوه وأحرقوا الجانب الغربيَّ وانصرفوا، واجتمعوا وتحالفوا، وأُذِّنَ في باب البصرة بحيَّ على خير العمل، وقُرِىء في الكَرْخ فضائل الصحابة، وترحَّموا عليهم، ومضى أهل السُّنَّة والشيعة إلى مقابر قريش، واجتمعوا عند موسى بن جعفر، وقُرِىء بباب البصرة فضائلُ أهل البيت، وخرج أهلُ باب البصرة والكَرْخ وتلك المحالِّ إلى زيارة المشهدين الحائر والكوفة، وهذا من العجائب، فإن الفتنَ كانت قائمةً، والدماء تُسفَك، والأموال تُنهَب، وكان الملوك والخلفاء يعجزون عن ردِّهم، وإنما حملهم على ذلك بُغْضُ ابن النَّسوي، وعند الحفائظ تذهب الأحقاد، فلمَّا كان يومُ [عيد] الغدير أقبل أهلُ المحالِّ بالأعلام المذهبة والبوقات والطبول، واختلط الفريقان [السُّنَّة والشيعة والدَّيلم والأتراك]، وجاء أهل نهر القلَّائين وبين أيديهم رايةٌ سوداء، عليها مكتوب اسم الخليفة، والدَّبادب بين يديها، فمرُّوا بالكَرْخ، فنثر عليهم أهلُ الكَرْخ الدنانيرَ والدراهم، وكذا فعل أهل باب البصرة، [وخرج معهم من أهل السُّنَّة إلى زيارة المشهدين الحائر والكوفة من لم تجْرِ له عادةٌ بالخروج].

وفيها وصل الغُزُّ إلى نيسابور والأهواز، فقتلوا مَنْ كان بهما من الدَّيلم والترك، فاضطربت بغداد، وراسل الخليفةُ طُغْرُلْبَك، وهرب أهل البصرة وواسط إلى بغداد.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحد من العراق.